

## الظواهر الفنية في شعر الهجاء

Ahmed ALDYAB (\*)

### المخلص

ناقش هذا البحث أهم الظواهر الفنية التي طبعت شعر الهجاء في عصور الأدب المختلفة، وقد حاولت أن أنوع هذه الظواهر من حيث الأسلوب واللغة والمواضيع، فقد اخترت أغرب الظواهر من حيث المضمون كهجاء الشاعر نفسه، واخترت أهم الظواهر من حيث الأسلوب كميل الأسلوب إلى الشعبية والعامية، ولم أنس اللغة، فقد أشرت إلى سهولة اللغة التي استخدمها شعراء الهجاء في شعرهم.

الكلمات المفتاحية: شعر، هجاء، أسلوب، لغة، موضوع.

### YERĞİ ŞİİRİNDE TEKNİK OLGULAR

#### Öz

*Bu çalışma, muhtelif edebi dönemlerde telif edilmiş yergi türü şiirinde önemli teknik olguları ele almaktadır. Bu teknik olgular, üslup, dil ve içerik bakımından değerlendirilmeye tabi tutulmuştur. Çalışma kapsamında, içerik olarak ele alınan yergi türü şiirlerde, şairin kendini yermesi vb. garip olan muhtevaya da yer verilmiştir. Bu bağlamda, ilgili şiirlerde, halkçı bir eğilime sahip olan ve halk dilinde telif edilen şiirler de üslup ve dil olarak incelenmiştir. Hicviye şairlerinin, şiirlerini telif ederken kullandıkları dilin basitliğine ve kolay oluşuna da değinilmiştir.*

**Anahtar Kelimeler:** Şiir, Yergi, Üslup, Dil, Muhteva.

### Technical Facts in Satire Poetry

#### Abstract

*This study is about different technical phenomena in accommodated satirical poems in various literary periods. These technical phenomena were evaluated in terms of sty-*

\*) Dr., Okt., Ankara Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Arap Dili ve Belagati Ana Bilim Dalı  
(e-posta: ahmad.adyab@gmail.com)

le, language and content. Within this study, weird themes such as poet's self-criticizing were also included in satirical poems that are dealt in terms of content. In this sense, the related poems which are accommodated in folk speech and have a tendency of a populist movement were examined from the point of style and language. The simplicity and pureness of the language that satirical poets use while accommodating their poems were also mentioned.

**Keywords:** Poem, Satire, Style, Language, Content

## المقدمة

تنوعت موضوعات الشعر وتعددت، لكن بقيت هذه الموضوعات تحافظ على الأغراض الأساسية من مدح وغزل ورثاء وهجاء وحنين وقد سارت هذه الموضوعات وتشعبت إلى فروع كثيرة، لكننا في النهاية نستطيع أن نرجعها إلى الأغراض الرئيسية، وبقي غرض الهجاء بارزاً وظاهراً على مر العصور، فالحياة لا تخلو من النواقص والعيوب والأخطاء، ولذلك حاول هذا النوع من الشعر أن ينتقد ويوضح هذه العيوب ويكشفها على المستوى الشخصي والأسري وعلى مستوى المجتمع والدولة. فقد أشهر شعراء الهجاء سلاحهم مستخدمين لسانهم ولغتهم اللاذعة للتعبير إما عن عدم رضاهم عن الأوضاع السيئة أو للتعبير عن الأزمات النفسية التي عاشوها في حياتهم. وقد تغيرت قيمة شعر الهجاء تبعاً للعصر والظروف والقيم السائدة في المجتمع، فكما هو معروف في العصر الجاهلي كان للشعر قيمة وللنسب قيمة والشجاعة كذلك والكرم أيضاً، ولذلك كان الهجاء يدور في فلك هذه القيم يحاول أن يسلبها من أصحابها، فالحياة الجاهلية كانت حياة قبلية وبداءة لا يحكمها قانون ولا نظام، فمن المنطقي ألا نرى هجاء ولا نقداً إلى الدولة أو المجتمع، وفيما بعد أصبحت هذه القيم تتغير قليلاً قليلاً وأخذ الهجاء يوسع دائرته ليتجه إلى الأحزاب والفرق والجماعات وهذا ما شاهدناه

في بداية عصر الإسلام عندما احتدمت المعارك الهجائية بين الأحزاب السياسية بسبب الخلافة، فقد حاول كل حزب أن يجذب الخلافة لصفه عن طريق شعرائه الذين ينافحون عن حزبهم ويرمون الأحزاب الأخرى بالمثالب والنواقص.

وقد اتسعت دائرة الهجاء في العصر العباسي لتشمل الأحوال الاجتماعية والسياسية في المجتمع، فقد أخذ الشعراء ينفقون السلطة والأحوال الاجتماعية وظلم الولاة، ولم تغب المهاترات الشخصية بين الشعراء وأنواع من السخرية الشخصية، ورغم تغير قيم الهجاء إلا أن الظواهر والسمات الفنية حافظت على نفسها إلى حد كبير في هذا النوع من الشعر ولنتعرف على ذلك نحاول أن نستجلي بعضاً منها.

#### 1- دقة الانتباه والملاحظة

إن الهجاء بطبيعته هو نقد سلبي على مستويات متعددة ومختلفة، ولذلك فشاعر الهجاء يحاول أن يتتبع ويتعقب كل نقص وعيب عند المهجوع، فالهجاء دائماً يمتلك عيناً نافذة تنفذ إلى عمق الشيء وتحاول أن تستخرج منه العيوب والنواقص وأن تجد مواطن الضعف والخلل. وأساس هذه النقطة في الحقيقة ينبع من الظروف التي عاشها الشاعر ومن الحرمان والنقص الذي عاناه في حياته، فهو يحاول أن يعكس حياته من خلال شعره تارة وتارة يحاول أن ينتقم ممن حوله بسبب الضغط النفسي الذي يعانيه من جراء ذلك فيطلق لسانه الذي لا يحده حاجز أو مانع وتارة يحاول أن يفرغ ما في نفسه عن طريق الدعابة أثناء الهجاء، فمثلاً ابن الرومي رأى رجلاً أحذب فهجاه واستخرج من الصور التشبيهية ما لا يفتن إليها فاطن ولا حاذق في الشعر يقول: (جريح، 2002، ص364)

قصرت أخادعه و غار فذاله فكأنما متربص أن يصفعا

و كأنما صفعت قفاه مرة وأحس ثانية لها فتجمعا

فهذان البيتان قد حويا من الملاحظة لهذا الشكل الذي يحمله هذا الأحدب ما يعادل عشرة أبيات أو أكثر. وابن الرومي من الشعراء الذين امتازوا عن غيرهم بهذه الخاصية، فهو كثير التعقب والانتباه، فهو رأى رجلاً أنفه لا يمتلك صفة التحديق فقال فيه: (محمد، 1997، ص121)

إن كان أنفك هكذا فالفيل عندك أفتس

ولم يقتصر ابن الرومي على الصفات المادية، وإنما دقة ملاحظته غارت في النواحي المعنوية، فها هو لاحظ رجلاً اسمه عمرو صدرت عنه مسحة غدر فسرعان ما عقد مقارنة بين غدره ووفاء الكلب قائلاً (جريج، 2002، ص369)

فالكلب واف وفيك غدر ففيك عن قدره سفول

2- الميل إلى بساطة الألفاظ وسهولتها

لما كان شعر الهجاء يميل إلى اقتناص العيوب وإن دقت، فإن ذلك يستدعي أن يكون التعبير عن هذه النواقص والعيوب بألفاظ سهلة وبسيطة. فشعر الهجاء يتجه عادة إلى عامة الشعب فهو يستقطب جمهوراً كبيراً وخصوصاً من العامة الذين تحن نفوسهم إلى مثل هذه الدعابات والتفريج عن همومهم وأحزانهم وخصوصاً إذا كثرت ضغوط المجتمع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهذا هو

الملاحظ في شعر الهجاء، الابتعاد عن الخيال والتعمق فيه، وفي نفس الوقت الابتعاد عن التكلف والصنعة وعدم الغوص في الصور والمجاز، ولذلك قال صاحب زهر الآداب " وأصحاب المطبوع أقدر على الهجاء من أهل المصنوع إذ كان كالنادرة التي إذا حدثت على سجية قائلها وقربت من يد تناولها وكان واسع العطن كثير الفطن قربت القلب من اللسان والتهب بنار الإحسان". (الأنصاري، 2010، ص53) والهجاء كما هو معروف ينبع أحياناً من الغضب، والإنسان أثناء الغضب تتجه ألفاظه لأن تكون بسيطة غير مسيطر عليها، طبعاً هذه الصفة تميز شعر الهجاء بشكل عام، ولكن يبقى عندي بيئة العصر التي تؤثر بشكل ما على لغة الهجاء، فمثلاً الهجاء في العصر الجاهلي اتسمت لغته بالشدة والقوة وأخذت مفرداتها من الطبيعة الصحراوية التي ربما لم تكن في زمانها كذلك، وكلما تقدمت العصور مالت لغة الهجاء إلى البساطة والعفوية والسهولة وأصبحت الكلمات الشعرية أشبه بالنثر والكلام العادي، ولنلاحظ قول المنفلت وهو يهجو الأخفش يقول: (المغربي، 1983، ص276)

إن كنت أخفش عين      فإن قلبك أعمى

فكيف تنثر نثراً      أم كيف تنظم نظماً

ولننظر كيف عرض ابن سناء الملك برجل يدعى ابن عمرو ويصور لحيته كمروحة الجيش التي تؤمن الهواء الرطب للجنود أثناء قتالهم فيقول (الملك، 1969، ص123)

عرضت لحية ابن عمرو كما طأ      لت فحلقت لها وسحقاً وبعداً

إنما أصبحت كمروحة الجي ش حكتها لوناً وشكلاً وبرداً

والهجاء وإن تنوعت أغراضه وأساليبه فإننا لا نعدم هذه السهولة في الألفاظ، فكما هو معروف إن الهجاء تنوع بين الهجاء الشخصي وهجاء القبيلة وغيره، والهجاء الشخصي امتدت ناره إلى العيوب الخلقية والخلقية ولم يسلم نسب المهجو الذي هو أعز مايملك من لسان الشاعر، فهاهو ابن عنين يسلب نسب ابن سيده قائلاً: (الأنصاري، 2008، ص257)

ما أنت إلا كعقاب فأمه معروفة وله أب مجهول

فمن هذه الكلمات نلاحظ سهولتها حتى أنها تبدو ككلام عادي وليس شعراً منظوماً

### 3- سلب المهجو أعز مايملك

لقد تفاخر العرب بأنسابهم وصفاتهم من كرم وشجاعة ومروءة، وكان الشخص يحاول أن ينشر هذه المناقب بين الناس بثتى الوسائل والسبل الممكنة، وشعر الهجاء كما قلنا يحاول أن يستغل هذه الأحوال و أن يقلل من شأنها وقيمتها ويحاول أن يحجمها. وشاعر الهجاء عندما يختار صفة أو منقبة ويبدأ بهجائها فلأنه يعرف تماماً أن ذلك سيغيب مهجوه ويثير غضبه وانفعاله. وفي الحقيقة أول صفة تفاخر العرب بها قديماً هي صفة الشجاعة، ومن هنا كان سلب هذه الصفة يثير حمية المهجو ويضربه في الصميم، يقول ابن الرومي عن الجبناء: (جريج، 2002، ص684)

رأيتكم تبون في الحرب عدة ولا يمنع الأسلاب منكم مقاتل

فأنتم كمثل النخل يظهر شوكة ولا يمنع الجرام ما هو حامل

ويقول دعبل الخزاعي عن الجبناء: (سيد، 1994، ص92)

أسود إذا ما كان يوم وليمة ولكنهم يوم اللقاء ثعالب

وهذه الصورة تبدي شجاعة هؤلاء الجبناء لكن عند الطعام فقط، هذه الصورة تبرز نهمهم وشراحتهم وأما وقت الحرب فهم يختلقون الحيل والخداع لكي يهربوا من ملاقاتة الخصوم.

ونرى سلب صفة القوة قد أخذت أحياناً أقصى معنى لها وهي أن بعض شعراء الهجاء قد نفى الرجولة عن الرجال لشدة جبنهم وضعفهم، فهذا زهير بن أبي سلمى يهجو بني حصن، حيث تساءل الشاعر عن هؤلاء الرجال أهم من الرجال أم من النساء قائلاً: (فاعور، 1988، ص64)

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

وهاهو حسان بن ثابت الذي واكب عصريين من الشعراء يقول في هجاء ابن عمرو بن الأتهم حيث شبهه بالمرأة والأنثى قائلاً: (محمد، 1997، ص106)

قل للذي لولا خط لحيته يكون أنثى عليها الدر والمسك

هل أنت إلا فتاة الحي إن أمنوا يوماً وأنت إذا ما حاربوا دَعَكُ

والصفة الثانية التي تغنى العرب بها هي صفة الكرم والتي حاول شعراء الهجاء أن يسلبوها وأن يقدحوا بأصحابها ويظهروها بأبشع

الصور والأقوال فمن ذلك ابن الرومي حين هجا بخيلاً  
يقول: (محمد، 1997، ص132)

يقتر على نفسه وليس بباق ولا خالد

فلو يستطيع لتقتيره تنفس من منخر واحد

فلاحظ هنا كيف رمى المهجو وأظهر بخله حتى أنه يقتر على نفسه  
في شيء يمتلكه في كل زمان ومكان، وهو متوفر في كل لحظة  
وثانية.

ونرى أيضاً أبا نواس كيف صور لنا حال هذا البخيل الذي شبيهه  
بالخنساء حين فقدت أباها صخراً وبكت عليه دهرأً فيقول: (أبو  
نواس، 2009، ص93)

إذا فقد الرغيف بكى عليه بكاء الخنساء إذا فجعت بصخر

ودون رغيفه قلع الثنايا وحرب مثل وقعة يوم بدر

ونذهب إلى فحل الهجاء الحطيئة حيث يرسم لنا صورة بخيل زاره  
في بيته حيث أخذ يلتفت يميناً ويساراً وأخذ يطلق الحجج ويتشاغل  
عن الحطيئة ببعض أموره يقول الحطيئة: (أوس، 2011، ص147)

كدحت بأظفري واعولت معولي فصادف جلموداً من الصخر  
أملسا

تشاغل لما جئت في وجه حاجتي وأطرق حتى قلت قد مات أو  
عسى



وأجمعت أن أنعاه حتى رأيته      يفوق فواق الموت حتى تنفسا  
فقلت لا بأس لستُ بعائد      فأفلح يعلوه السمادير ملبسا  
فهذه الصورة أظهرت حرص هذا البخيل بشكل مضحك وكأن هذه  
الصورة تبدو أمامنا ماثلة.

وخير من يصور البخيل هو أبو نواس حيث يقوم هجاؤه على  
الطرفة والضحك، فهاهو يهجو أبا نوح الذي بدأ يصف له الطعام  
وماذا سيقدم له من أطيبه ولذائذه وكيف سيكون هذا اللحم محشياً  
بالأرز وبكل ما تشتهيهِ العين والنفس يقول: (أبو  
نواس، 2009، ص168)

أبو نوح دخلت عليه يوماً      فغذاني برائحة الطعام  
وقدم بيننا لحماً سميناً      أكلناه على طبق الكلام  
فلما أن رفعت يدي سفاني      كؤوساً خمرها ريح المدام  
والصفة الثالثة التي تغنى بها العرب وعدوها قيمة عليا هي قيمة  
النسب، وقد اتخذ شعراء الهجاء من مسألة النسب نقطة ضعف تجاه  
مهجويهم، وقد ذاع هجاء النسب خصوصاً في العصور الأولى على  
أننا لا نعدم ذلك في العصور المتقدمة، فهاهو حسان بن ثابت يرمي  
أبا سفيان ويقده في نسبه قائلاً: (محمد، 1997، ص102)

وأنت زنيم نيط في آل هاشم      كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

إن سلب قيمة النسب من صاحبها لا تصيب الإنسان على المستوى الشخصي وإنما ينتشر ضررها في المجتمع وهذا الذي يحاول شاعر الهجاء أن يحققه ويلعب عليه، يقول ابن عنين يهجو ابن سيده ويغمز في نسبه (الأنصاري، 2008، ص163)

قل لابن سيده وإن أضحى له خولٌ تُدِلُّ بكثرة وخيول  
ما أنت إلا كالعقاب فأمه معروفة وله أب مجهول

إن ابن سيده كما هو معروف لغوي ونحوي وقد كان من المفترض أن يلعب ابن عنين على سلب ابن سيده علمه ولكنه أدرك أن هذا سيكون أصعب وأثقل عليه فهو يُعد كسلب الشرف والمروءة من المهجو.

وموضوع سلب القيم تغير من عصر إلى عصر، فمثلاً في العصور الأولى كانت قيمة الشجاعة والكرم هما السائدتان، لكن فيما بعد تبدلت هذه القيم وأصبحت تتبع لروح العصر وحاجاته والتغيرات الاجتماعية والثقافية وحتى المذهبية والدينية، ففي العصر العباسي نجد أن الهجاء أخذ منحى آخر فنجد من يذم ويهجو النفاق والمنافقين، وقد كثر هذا الموضوع نتيجة للتجاذبات السياسية بين الفرق والمذاهب، فقد حاول كل فريق أن يكسب أكبر عدد من الناس حوله، يقول عبد المحسن الصوري في ذلك: (جاسم، 1981، ص

(112)

نفر من أمية نفر الإس لام من بينهم نفر أباق

أنفقوا من أمية ماغصبوه فاستقام النفاق بالإنفاق

يقول علي بن الجهم في هجاء المنافق الذي يقول مالا يفعل (مراد، 1980، ص210)

ما شئت من رجل نبيل      يأوي إلى عرض دخيل  
يأتي الجميل بقوله      وفعاله غير الجميل

ومما يُلاحظ أيضاً وخصوصاً في العصر العباسي هجاء بعض الشعراء لظاهرة الحسد، فالحياة في العصر العباسي امتزجت بالرفاه المادي وأخذ الناس حظهم من الأمور المادية وخصوصاً عندما اختلطت بالأعاجم فأدى ذلك إلى زيادة الفوارق الطبقيّة بين الأغنياء والفقراء وبالنتيجة تبلور الحسد كظاهرة منتشرة في المجتمع العباسي، يقول ابن وكيع التنيسي وقد ذم الحسد بين الأصدقاء (نصار، 1954، ص85)

لا تحسدن صديقاً      على تزايد نعمه  
فإن ذلك عندي      سقوط نفس وهمه

ومن كثرة الحسد الذي حدث في هذا العصر، فإن بعض الشعراء عدّ من يجاهد ويحارب الحسد له أجر المجاهد في سبيل الله، يقول أبو فراس الحمداني: (الدويهي، 1994، ص116)

لمن جاهد الحساد أجر المجاهد      وأعجز ما حاولت إرضاء حاسد

ونتيجة للاختلاط الذي حصل في العصر العباسي بالثقافات اليونانية والفارسية والهندية، فإنه انتشرت ظاهرة الحسد والتنجيم وأصبح الناس يميلون إلى تصديق المشعوذين والمنجمين، ولذلك وجد بعض

الشعراء أن هذه الظاهرة مضرّة بالنفس والمجتمع ودموها ونددوا  
بالمشتغلين بها والمصدقين لها، يقول منصور الفقيه في ذلك  
الأصفهاني، 1986، ص256)

لو أن منجماً تكلم لقال صكوا المنجم

لأنه قال جهلاً دعا إليه التوهم

فلا تصدق بشيء مما يقول المنجم

وفي فترة العصر العباسي وما بعده انتشرت عادة التصوف، فأصبح  
بعض الناس يدّعي التصوف ويلبس من الثياب البسيطة والثياب  
الخشنة ليدل على نفسه أنه من هذا المذهب، فكان الشعراء  
بالمرصاد لهؤلاء، يقول أبو حيان في جاهل لبس صوفياً وأخذ  
يتباهى به: (الشننيري، 2010، ص125)

أيا كاسياً من جِدِّ الصوف نفسه ويا عارياً من كل فضل ومن  
كَيْس

أتزهي بصوف وهو بالأمس مصبِحُ على نعجة واليوم على تيس

وفي العصر الحديث ونتيجة للتحوّلات السياسية ودخول البلاد  
الغربية الشرق وبالظلم الذي أحدثوه والاحتلال والقهر نجد أن  
الشعراء اتجه هجأؤهم إلى ذم هذه الأوضاع وما يقوم به هؤلاء من  
استبداد وظلم، يقول عادل الغضبان وقد قذف الدول المستعمرة  
بالظلم والاستبداد والغدر (محمد، 1997، 168)

أو كلما جن البغاة جنونهم وبالاً	مطروا العباد الوادعين
ورموهم بالمهلكات ومزقوا الأوصالا	أوصالهم وتقاسموا
إن عاهدوا نقضوا وإن هم واعدوا الأقوالا	نكثوا الوعود وزيفوا
الحق باسم الحق يهتضمونه وطالاً	والزور باسم السيف ساد

#### 4- الميل إلى الشعبية في الأسلوب والألفاظ

الهجاء فن الشعب والعوام بامتياز، فهو ينبع في الأوساط الشعبية ويمتد ليطول بلسانه السلطات والطبقات العليا بعد ذلك، لكن المهم هو الحاضنة الشعبية التي يتمتع بها هذا الفن، فشعراء الهجاء ينقبون عن فرائسهم ثم يوجهون سهامهم بنفس البساطة والشعبية. وهذا في الحقيقة يكون أليق وأكثر جذباً للقارئ وللفت الأنظار أكثر، وبالنتيجة يكون أكثر شيوعاً ورواجاً من غيره، يقول ابن الخطيب عند هجائه للوزير أبي الفتح (الأصفهاني، 1986، ص 254)

يابغل طاحونة يدور بها مجتهد السير مغمض البصر

فهذه الألفاظ عادة يستخدمها العوام ونرى هذا الأسلوب الذي ينضح من أساليب السوقية والناس البسطاء. وهذا أبو الشمقمق يوجه إلى

بشار بن برد رسالة هجائية تمتلئ بالألفاظ الشعبية يقول: (محمد،  
1997، ص65)

هَلِّينِه هَلِّينِه                      طعن قنّاة لتينه

إن بشار بن برد                      تيس أعمى في سفينة

هنا نلاحظ على الرغم من أن هذه الأبيات تنتسب للعصر العباسي إلا أننا لا نعدم هذه الألفاظ الشعبية والتي تكاد تكون أشبه بالأغاني الشعبية في أيامنا. ونلاحظ ذلك عند ابن الرومي وهو يهجو أبا مرة (جريح، 2002، ص236)

أقصر وعور                      وصلع في واحد

شواهد مقبولة                      ناهيك من شواهد

فكما هو ملاحظ أن البيت الأول تتزاحم فيه الألفاظ الشعبية والتي تشير إلى الحاضنة الشعبية لهذا الفن والذي لا يحلو ويُستلذ إلا بها.

5- هجاء الشاعر نفسه

من غير المنطقي أن يهجو الإنسان نفسه، لكن هذا الأمر عند شاعر الهجاء غير قابل لقياسه بميزان المنطق، وبذلك تكون حتى نفسه لم تسلم من لسانه. في الحقيقة هذه الظاهرة تثير الانتباه ويمكن تحليلها بأن الشاعر عندما يهجو نفسه فإنه يدل على مصداقية شعره وهجائه للآخرين، فهو يريد أن يقول إنني عندما أهجو الآخرين فإن هذا الهجاء يحمل المصداقية والدليل على هذا أنني أهجو نفسي وذاتي، وربما تكون هذه الظاهرة قد انتشرت نتيجة للظروف النفسية

الصعبة والسيئة التي عاشها الشعراء وخصوصاً أن بعض هؤلاء الشعراء كانوا معاقين إعاقة بصرية أو جسدية أو كان ذميم الخلقة فمثلاً الحطيئة يهجو نفسه قائلاً: (الحطيئة، 2011، ص 132)

أبت شفتاي اليوم إلا تكلما بسوء فما أدري لمن أنا قائله

أرى لي وجهاً شوّه الله خلقه فقُبِّح من وجهه وقبح حامله

فكما هو معروف أن الحطيئة كان يحمل نفساً متذمرة في وقته وكان لديه لسان ناقد يلدغ به كل من يراه. وكذلك الحال الشاعر أبو دلامة الذي كان يتصف بالقبح والدمامة في جسده يقول عن نفسه هاجياً (يقعوب، 2010، ص 114)

ألا أبلغ لديك أبا دلامة فلست من الكرام ولا الكرامة

جمعت دمامة وجمعت لؤماً كذاك اللؤم تتبعه الدمامة

إذا لبس العمامة قلت قرداً وخنزيراً إذا نزع العمامة

إن مثل هذا الهجاء يعد من السخرية المقذعة التي تختلط باليأس والنفور من كل شيء حتى إنه ليرى نفسه قرداً وخنزيراً، وهذا وإن دل على شيء فإنه يدل على المسحة النفسية السوداء التي كان يحملها هذا الشاعر.

وكذلك نرى أن بعض الشعراء من العصور المتقدمة نسبياً يفعل نفس الشيء، فابن حزمون يهجو نفسه منتقداً وواصفها بأنها خبيثة (المغربي، ص 276)

إذا شئت أن تهجو تأمل خلقتي فإن بها ما قد أردت من الهجو

فلو كنت مما تنبت لم أكن من الرائق الباهي ولا الطيب  
الخلو

ولو نظرنا إلى هجاء النفس نظرة متعمقة لربما كان القصد منه تجاوز الواقع والهروب من مشكلات المجتمع والواقع المر الذي عاشوه، ولذلك حاول كثير من الشعراء أن يسبغ شعره بمادة فكاهية وسخرية كوميدية لينفس عن نفسه وعن الآخرين هذه الأحوال، يقول ابن مكنسة عن نفسه:(الأصفهاني، 1986، ص214)

أنا الذي حدثكم عنه أبو الشمقمق  
فقال عني إنني كنت نديم المتقي  
حتى متى أبقى كذا تيساً طويل العنق  
بلحية مسبلة وشارب محلق  
ياليتها قد حُلقت من وجه شيخ خلق

#### 6- هجاء الشاعر الدائرة المقربة حوله

لم يتوقف بعض الشعراء عند هجاء أنفسهم بل امتد هذا الهجاء إلى الدائرة المقربة منه، وربما إلى أخص أقاربه، فهاهو الحطيئة يهجو أمه، ومن أقرب إلى الإنسان من أمهيقول في ذلك:(الحطيئة، 2011، ص95)

جزاك الله شراً من عجوز ولقائك العقوق من البنينا  
أغربالاً إذا استودعت سرّاً وكانونا على المتحدثينا



تنحي، فاجلسي مني بعيداً أراح الله منك العالمينا

من هذه الأبيات يتبين أن شعر الهجاء لا يعرف قريباً ولا بعيداً ولا صغيراً ولا كبيراً، ولا يخضع للرحمة ولا للشفقة وإنما يحاول أن يضرب ويلدغ دون النظر من هو الملدوغ. ولم يقتصر بعض الشعراء على هجاء أمه، بل نجد البعض الآخر يوجه سلاحه نحو أبيه ويصفه بأنه كالأفعى الخبيثة التي تلدغ دون رحمة، يقول أبو عبد الله النجار في هجاء أبيه (الأصفهاني، 1986، ص82)

لي أب كل ما به يوصف النا س من الخير فهو منه مبرا

فهو كالصل من بنات الأفاعي كلما زاد عمره زاد شراً

إن هذا الحقد الذي يحمله الشاعر لا يمكن أن يوصف، وهذا في حق أبيه فكيف في حق الآخرين؟! ومن الشعراء من ذم وهجا زوجة أبيه، وهو في الحقيقة هجاء لأبيه بطريق غير مباشر، يقول جمال الدين المصري واصفاً أباه الذي تزوج من امرأة كبيرة (محمد، 1997، ص143)

تزوج الشيخ أبي شيخة ليس لها عقل ولا ذهن

لو برزت صورتها في الدجى ما جسرت تبصرها الجن

كأنها في فرشها رمة وشعرها من حولها قطن

وقائل قال فما سنُّها فقلت ما في فمها سن

وإن كان الشاعر قد هجا أباه وأمه فمن السهل أن يهجو زوجته، يقول ابن صارة الشنتيري هاجياً زوجته بعد أن رماها بالنفاق والخبائة وشبهها بالذئبة (الشنتيري، 2010، ص158)

أما الزمان فرق لي من طلة      كانت تطل دمي بسيف نفاقها

الذئبة الطلساء عند نفاقها      والحية الرقشاء عند عناقها

إن العلاقة الزوجية يحكمها الكره أحياناً، والأسباب ربما تكون كثيرة، لكن السبب المنتشر والشائع هو ارتباط الزوجة بأمرها، فكما هو معروف أن العلاقة بين الزوج والحماة دائماً يشوبها الحقد والبغض، ولذلك فبعض الشعراء لم يتوان عن هجاء حماته وقد أدرك أنها تحرّض ابنتها عليه يقول ابن عنين يهجو حماته: ( الأنصاري، 2008، ص172)

أشكو إلى الله حماتي فما      يعلم ما لاقيت منها سواه

تقول للبنت الطمي خده      وابكي وسبيه وسبي أباه

إن شعر الهجاء كالسلطة القضائية العادلة التي تمتد يدها لتطال الكبير والصغير و المقرب والبعيد، فهو لا يترك فرصة لأحد ولا يسلم أحد منها مهما كانت درجة القرابة من شاعر الهجاء، ولذلك نجد الشاعر الأعمى المخزومي يهجو ابنه ويصفه بسوء الخلق يقول (الأصفهاني، 1986، ص161)

يزداد عقلك ما كبرت تناقصاً      وتلج في صمم إذا ما تنصح

أكل وسلح حين لاترى      لسواهما ما دمت حياً تطمح

## 7- الاقتباس الديني

يحاول شعراء الهجاء أن يستمدوا ويسخّروا الخطاب الديني في شعرهم ليعطوا لهجائهم قيمة أكبر، فالشعر كلما استمد وأخذ من الدين كان أدهى للتصديق وأقرب للحقيقة والوثوق، ومن ذلك قول أبي العتاهية يهجو رجلاً ثقيلاً اسمه أبا عمران مقتبساً من القرآن (أبو العتاهية، 1986، ص 283)

ربما يثقل الجليس وإن كا      ن خفيفاً في كفة خيزران  
كيف لا تحمل الأمانة أرض      حملت فوقها أبا عمران

وهذا دعبل الخزاعي يستدعي قصة يوسف مع امرأة العزيز في هجائه لبني فضل والطعن في رجولتهم (سيد، 1994، ص 94)

إذا رأيت بني وهب بمنزلة      لم تدر أيهم الأنثى من الذكر  
قميص أنثاهم ينفد من قبل      وقمص ذكرانهم تنقد من دبر

## الخاتمة:

لقد كان لشعر الهجاء ككل موضوعات الشعر الأخرى خصائص وظواهر أحاطت به وطبعته بطوابع وملامح ميزته وأعطته استقلالية عن الموضوعات الأخرى. وقد توصل هذا البحث إلى النتائج التالية.

- إن موضوع الهجاء موضوع خصب، لذلك الظواهر الفنية التي سادت هذا الموضوع كثيرة ولا يمكن أن يحاط بها كلها، وإنما حاولت أن أقدم أبرزها والأكثر مروراً وغرابة.

- سارت الظواهر الفنية من بداية العصور الأدبية الأولى وحتى العصر الحديث تقريباً بنفس الأسلوب الهجائي، فمن يقرأ الهجاء في العصور الأولى يشعر بسهولة الأسلوب كما في العصور المتأخرة.
- كانت مواضيع الهجاء تتغير بشكل نسبي من عصر إلى عصر، أي بمعنى أن الهجاء في العصور الأولى كان يركز أكثر على العناصر المعنوية كالنسب والشجاعة والكرم. وتغيرت هذه النظرة بتقدم العصور وأصبح الهجاء يركز أكثر على العناصر المادية كأعضاء الجسم مثلاً.
- كانت قصائد الهجاء عبارة عن مقطوعات قصيرة ولم تبلغ قصائد طويلة، وهذا في الحقيقة منطقي لأن الهجاء عبارة عن لقطات سريعة تخطر ببال الشاعر.
- سارت لغة الهجاء في كل العصور ببساطة وسهولة ولم تعتمد لغته على التفرع إلا ما ندر في العصر الجاهلي.

#### المصادر والمراجع:

- أبو العتاهية، ديوان أبي العتاهية، دار بيروت، 1986.
- الأصفهاني، عماد الدين، خريدة القصر وجريدة العصر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986.
- إميل بديع يعقوب، ديوان أبي دلامة، دار الجيل للطبع، لبنان، 1987.
- الحمداني، أبو فراس، ديوان أبي فراس، دار صادر، بيروت، 2009.

الخزاعي، حسن سيد، ديوان دعبل ، دار الكتاب العربي، بيروت،  
1994.

الدويهي، خليل ، ديوان أبي فراس الحمداني، دار الكتاب العربي،  
1994.

الشنيتيري، ابن بسام ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الدار  
العربية للكتاب، ليبيا، 2010.

المغربي، علي بن موسى ، المغرب في حلى المغرب، دار  
المعارف، القاهرة

الملك، ابن سناء ، ديوان ابن سناء الملك، دار الكتاب العربي، لبنان،  
1969.

الأنصاري، إبراهيم بن علي ، زهر الآداب وثمر الألباب، دار  
الجيل، بيروت، 2010.

الأنصاري، محمد بن نصر الله ، ديوان ابن عنين، دار الكتاب  
العربي، لبنان، 2008.

الجاسم، مكي السيد ، ديوان عبد المحسن الصوري، دار الرشد،  
بغداد 1981.

جرول بن أوس، ديوان الحطيئة، دار أسامة، دمشق، 2011.

علي بن العباس بن جريج، ديوان ابن الرومي، دار الكتب العلمية،  
بيروت، 2002.

فاعور، علي حسن ، ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية،  
1988.

محمد، سراج الدين، الهجاء في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية،  
بيروت، 1997.

مردم، خليل ، ديوان علي بن الجهم، وزارة المعارف، السعودية،  
1980.

#### Kaynakça

Ali bin el-Abbâs bin Cerîc, Divânu ibn er-Rûmî, Dâr el-Kutub el-I'Imiyye, Beyrut, 2002.

Cervel bin Avs, Divânu el-Hutaye, Dâr Usâme, Şam, 2011.

Ebu el-Atâhiye, Divânu Ebu el-Atâhiye, Dâr Beyrut, 1986.

ed-Duveyhi, Halil, Divânu Ebi firâs el-Hemedânî, Dâr el-Kitâb el-Arabî, 1994.

el-Ensârî, İbrahim bin Ali, Zehru el-Âdâb ve Semeru el-Bâb, Dâr el-Cîl, Beyrut, 2010.

el-Ensârî, Muhammed bin Nasrullah, Divânu İbn Uneyn, Dâr el-Kitâb el-Arabî, Lübnan, 2008.

el-Hemedânî, Ebu Firâs, Divânu Ebî Firâs, Dâr Sâdr, Beyrut, 2009.

el-İsfahânî, İmâduddîn, Harîdetu'l-Kasri ve Cerîdetu'l-Asri, ed-Dâr et-Tûnusiyye li'n-neşri, Tunus, 1986.

el-Magribî, Ali bin Musa, el-Magrib fi hla el-Magrib, Dâr el-Meârif, Kahire.

el-Melik, İbn Sina, Divânu İbn Sina el-Melik, Dâr el-Kitâb el-Arabî, Lübnan, 1969.

es-Seyyid el-Câsim, Mekki, Divânu Abd el-Muhsin es-Suveri, Dâr er-Ruşd, Bağdâd, 1981.

eş-Şenterînî, İbn Bessâm, ez-Zahire fi mehâsini ehli'i-Cezîra, ed-Dâr el-Arabiyye li'l-Kutub, Libya, 2010.

Fâûr, Ali Hasan, Divânu Zuheyr bin Ebi Sulma, Dâr el-Kutub el-I'Imiyye, 1988.

Merdem, Halil, Divânu Ali bin el-Cehm, Vizarâtu el-Maârif, es-Suûdiyye, 1980.

Muhammed, Serâceddin, el-Hece fi'ş-Şi'r el-Arabî, Dâr er-Râtib el-Câmi'yye, Beyrut, 1997.

Seyyid, Hasan, Divânu Da'bel el-Huzâi, Dâr el-Kitâb el-Arabî, Beyrut, 1994.

Yakub, Emil Bedi, Divânu Ebi Dalâme, Dâr el-Cîl li't-Tab', Lübnan, 1987.